المفتاح إلى الحرية.

ليس حرّاً من قياده ومن حياته في يدٍ غير يده، سواء أكانت يد إله أم يد شيطان. ومن ذا الذي يقول اليوم إنّ قياد الإنسان وحياته في يده؟ لذلك كان حديثنا عن الحرية كما لو كانت نعمة يتمتّع بها بعض الشعوب دون بعض، وبعض الناس دون باقي النـاس، حـديـث خـرافـة. ومـا اعتقادنا أنّ الحريّة تؤخذ وتعطى، وتسلب وتستردّ، أو تباع وتشترى بالمال والرجال، وبالدمع والدم، سوى ضرب من التخدير الوقتي لشهوة الحرية التي، عن غير وعي منّا، تدفعنا أبداً إلى التفتيش عنها بكلّ وسيلة وفي كلّ صوب، وتحبّب إلينا البقاء بما فيه من كفاح وألم وخيبة وموت. ولكنه تخدير حكيم، وتخدير لا بدّ منه. فلولاه لانقطع حبل الأمل. ولانقطع بانقطاعه حبل الحياة.

الحرية هي الهدف الأسمى والأخير لكلّ الكائنات، وفي طليعتها الإنسان. من تذوّقها يوماً فقد تذوّق الألوهة. والألوهة تعني معرفة كلّ شيء والقدرة على كلّ شيء. فهي الحرية المطلقة التي نصبو إليها بكلّ ما فينا من قوّة الحياة والتي نتخدّر من حين إلى حين بنسمة من نسماتها. ولكننا لا نلبث أن نستفيق من تخديرنا لنعود فنطلبها كاملة مطلقة.